﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ٢٣﴾ [طه: 22 - 23]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

حَمـلُ رسالـةِ التَّـوحيـد إلى المستكبر العنيد، يتطلَّب مـزيـدًا منَ المَدد والتَّأييد

لَمَّا عَلِمَ ربّ العزّةِ سبحانه أنّ ملاقاة فرعون الطَّاغية، وملاقاةَ سحرتِه المَهرة في السّحر - من بعد ذلك - أمرٌ عظيم وجليل؛ أراد سبحانه أن يُريَ موسى آياتٍ عظيمة؛ ليتمرّنَ عليها؛ حتّى إذا تحدّى فرعونَ وقومَه عمل مثلَها أمامَهم دونَ توجّسٍ أو تخوّف؛ ولَمَّا تطلّب الأمر مزيدًا منَ التّأييد؛ أراه سبحانه آيةً في نفسه، كما أراه من قبلُ آيةً في عصاه؛ ليُثبّتَ جنانَه، ويزدادَ إيقانُهُ، ولَمَّا كان البرصُ أبغضَ شيء إلى العرب، وطباعُهم تنفر منه، ومِن سماعه، كنَّى عنه بالسّوء، حيثُ إنَّ نفي السّوء يشمل نفيَ البرصِ وغيرِه منَ الأمراض التي تُصيب الإنسان[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱضۡمُمۡ﴾: الضَّمُّ: الجمع بين شيئين فصاعدًا، يقال: ضممت الشَّيء إلى الشَّيء فانضمَّ إليه، وضامَّه، وتضامَّ القوم، إذا انضمَّ بعضُهم إلى بعض[2]، ويقال: ضاممت فلانًا، إذا أقمتُ معه في أمر واحد[3].

2) ﴿جَنَاحِكَ﴾: الجَناح: جَناحُ الطَّائر، وهو ما يحقِّق به الطَّيران، وجمعه أجنحة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام: 38][4]، وجناحا الإنسان لجانبيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 42، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 324، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 283.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (ضمم).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ضمم).
(4) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (جنح).

جَنَاحِكَ﴾، أي: جانبك، وهو عبارة عن اليد؛ لكون الجناح كاليد، وقولُه تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: 24]، أي: أَلِن لهما جانبَك[1].

3) ﴿بَيۡضَآءَ﴾: البَياض في الألوان: ضدُّ السَّواد، يقال: ابْيَضَّ يَبْيَضُّ ابْيِضاضًا وبَياضًا، فهو مُبْيَضٌّ وأَبْيَضُ، وجمع الأبيض: بيض[2]، وقد كُنّي بالبياض عنِ السُّرور، وبالسَّواد عنِ الغمِّ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾ [آل عمران: 106]، فابيضاضُ الوجوه عبارةٌ عنِ المَسَرَّة، واسوادها عبارةٌ عنِ الغمِّ[3]، والبياض أشرفُ الألوان؛ لأنَّه قابل لجميعها، وأمَّا قوله تعالى: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾، فمعناه: نيِّرةٌ مشرقةٌ مُشعَّة[4].

4) ﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾: (كبر) أَصْلٌ صَحيحٌ يدُلُّ على خِلافِ الصِّغَرِ[5]، والكُبْرى: تأنيث الأَكْبَر، والجَمعُ الكُبَرُ، وجَمعُ الأَكْبَرِ: الأَكابِرُ والأَكْبَرون[6]، و﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾ في الآية: مُسْتَعارٌ لِقوَّةِ الماهيَّةِ، أي: لنُريه آياتِنا القَويَّةِ الدّالة على قُدْرَتِنا[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يعرض السّياق القرآنيُّ دليلًا وبيانًا آخَرَ مِنْ دلائل قدرة اللّه ووحدانيّته، وذلك مِنْ خلال هذا الأمرِ الإلهيِّ الثّاني للكليم موسى عليه السلام؛ حيثُ يقول الحَقُّ سبحانه مخاطبًا إيَّاه: وأدخل يدَك اليُمنى يا موسى إلى جنبك الأيسر تحت عضدك، تخرجْ نيِّرةً مشرقةً مِنْ غير بَرصٍ؛

معجزات الله للأنبياء فيها أعظمُ دليل لصحّة دعواهم أمامَ الأعداء

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (جنح).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (بيض).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (بيض).
(4) البغويّ، معالم التّنزيل: 5/ 270، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 4/ 26.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كبر).
(6) ابن دريد، جمهرة اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (كبر).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 209.

لتكونَ معجزةً أُخرى دالَّةً على صدقك غيرَ العصا؛ ولنُريَكَ بذلك بعضَ معجزاتنا العُظمى الدَّالَّة على عظيم قُدرتنا وانفرادنا بالوحدانيَّة[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة عطف قوله: ﴿وَٱضۡمُمۡ﴾ على سابقه:

تـتـوالى الآيـات المثبّتات لموسى من ربِّ البريّات

وُصِل قولُه تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ﴾ بما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ﴾؛ لاتِّحاد الجملتين في الإنشائيَّة، ولعدم وجود ما يقتضي الفصلَ بينهما، وقد حسَّن الوصلَ هنا مجيءُ الجملتين فعليَّتين، ومجيءُ فعليهما على صيغة الأمر الموجَّه إلى مخاطَب مفرد، مع قصد التَّشريك بينهما في الحُكم؛ ذلك أنَّ الله ﷻ "لمَّا أراه آية في بعض الآفاق، أراد أن يريَه آية في نفسه، فقال: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ﴾"[2]. فهذه معجزةٌ أخرى علَّمه اللهُ إيَّاها، حتَّى إذا تحدَّى فرعونَ وقومَه عمل مثلَ ذلك أمامَ السَّحرة.

دلالة التَّعبير بقوله: ﴿وَٱضۡمُمۡ﴾:

جمع الله تعالى لنبيِّه موسى عليه السلام بين السَّكينة ومعاينة الآية العظيمة

تدور معاني الضَّمِّ حولَ الجمع والقبض، جمعِ شيء إلى شيء، أو قبضِ شيء إلى شيء[3]، وأوثرَ التَّعبيرُ بالضَّمِّ هنا لأنَّ كلَّ مرعوبٍ من ظُلمة أو نحوِها، فإنَّه إذا ضَمَّ يدَه إلى جناحه فترَ رُعبُه، ورَبُطَ جأشُه، فجمع اللهُ لموسى عليه السلام تفتير الرُّعب مع الآية في اليد[4]، والأمر في قوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ﴾ على حقيقته، لأنَّه صادر منَ الأعلى إلى الأدنى، وقد أراد الله ﷻ أن يضُمَّ موسى عليه السلام يدَه إلى جناحه ليقوى جأشُه، ولتظهرَ له هذه الآية العظيمة في اليد[5]، فيجمع له معَ الأمن والسَّكينة مشاهدةَ الآية العظيمة.

---

(1) البغويّ، معالم التّنزيل: 5/ 270، والهرريّ، الحدائق: 17/ 274.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 282.
(3) الرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، البصائر، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ضمم).
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 42.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 324.

نُكتةُ العدول عنِ اليمين إلى اليد في قوله: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ﴾:

لليمين الشَّرف، ولـلـقـرينـة الـتَّـقـيـيـد، ولـلـسّـيـاق التَّرجيح

إنَّما قال تعالى في الأولى: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ﴾؛ لأنَّ الغرض كان السُّؤال التَّقريريَّ عنِ العصا التي كان يمسكها موسى ﷺ بيمينه، ولو كان السُّؤال: وما تلك بيدك؟ لربَّما كان ممسكًا بيده الأخرى غرضًا خفيفًا من أغراضه، فكان سيحار من فرط الدَّهشة والرَّهبة، فجاء السُّؤال بأوضح لفظ وأجلاه، لذلك لم يتلعثم ﷺ، وقال: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾، أمَّا هاهنا فلمَّا كانتِ اليمنى هي المستخدمة غالبًا فيما كان شريفًا كالتَّسبيح والمصافحة وتناول الطَّعام وغير ذلك، ولمَّا كانت اليسرى هي المستخدمة فيما دون ذلك كالاستنجاء ونحوه، وكان إدخال اليد في الجيب وملامستها للإبط استجابةً لأمر الله تعالى هو ممَّا يَشْرُف، كان إدخالُ موسى ﷺ – وهو الكريم الكليم في حضرة الله العظيم – يمينَه دونَ شمالِه هو الأصل، فمِن ثَمَّ لم يكن لتقييد اليمين هاهنا حاجة؛ إذ هو ممَّا عُرِف بالقرينة، لا سيَّما أنَّها محلُّ الآية الكبرى، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾، واليمين بالآيات أنسب، وهذا أمر لا يخفى على الكليم الكريم ﷺ، ويُضاف إلى ذلك أنَّه قد تقدَّم ذكرُها في السُّؤال عنِ العصا، وكونُها أكثرَ استعمالًا منَ اليسرى، فهذا كلُّه يصرف المقصود باليد إلى اليمنى دون اليُسرَى.

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ ودلالتها في قوله: ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾:

دلَّ اللهُ الحليمُ عبدَه موسى لما يسكِّن به رَوعَه، ويُذهب به فزعَه

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ الدّلالة على انتهاء الغاية، وهذا هو أصل معناه[1]، والمقصود بها هنا إيصالُ اليد إلى الجانب، منتهًى بها إليه، وهذا يُفيد معنى الإلصاق الذي يحصل به تسكينُ الرَّوع، وإبرازُ الآية الباهرة.

(1) ابن يعيش، شرح المفصّل: 4/ 463، والسَّامرائيّ، معاني النّحو: 3/ 16.

دلالة التَّعبير بالجناح:

الجناح ملتقى الذِّراع بالأضلاع

أوثر التَّعبير بالجناح في قوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ دون الجَنْبِ، كون الجنبِ يصدق على الشِّقِّ كلِّه، بخلاف الجناح الذي يكون مخصوصًا بموضع التقاء الذِّراع منَ الجَنْب، وموضع وجود الأضلاع، فالمراد: اضمم يدكَ إلى جنبك تحت العضد، دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿تَخۡرُجۡ﴾[1]، فلو لم يكن دخول لم يكن خروج[2]، وهذا هو الموضع الذي أراد الله تعالى من موسى عليه السلام أن يضمَّ يدَه إليه دون غيره.

بلاغة الاستعارة في قوله: ﴿جَنَاحِكَ﴾:

تشبيه يدا الإنسان بجناح الطَّائر

التَّعبير عنِ الجنب بالجناح استعارةٌ تصريحيَّةٌ، حيثُ حُذِفَ فيها المشبَّهُ (الجنب)، وصُرِّح بالمشبَّه به (الجناح)؛ لأنَّ يدَيِ الإنسانِ يشبهان جناحي الطَّائر[3].

علَّة فصل قوله: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾ عن سابقه:

آيات الله باهرة، ومعجزاته قاهرة

قوله تعالى: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾ مضارع مجزوم لأنَّه جواب الطَّلب[4]، وفي الكلام حذف؛ إذ لا يترتَّب الخروج على الضَّمِّ، وإنَّما يترتَّب على الإخراج، والتَّقدير: (واضمم يدَك إلى جناحك تنضمَّ وأخرجها تخرجْ)[5]، ومن هنا كان الفصل أولى منَ الوصل، كونُ الجملة الثَّانية واقعةً موقعَ جوابِ الشَّرط للأولى، فكما لا يُعطفُ الجزاءُ الصّريح على الشّرط، كذلك ما كان في معناه.

الغرض مِن تنكير ﴿بَيۡضَآءَ﴾:

كان بياض اليد من نوع مخصوص، قَضْدُ الإعجازِ يَزينُه، ولا عيبَ يَشينُه

جاءت كلمة ﴿بَيۡضَآءَ﴾ نكرةً؛ لأنَّها وقعت حالًا منَ المنويِّ في

(1) الزّمخشريّ، الكشَّاف: 3/ 59.
(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 7/ 324.
(3) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 28.
(4) بهجت صالح، الإعراب المفصّل: 7/ 87.
(5) أبو حيَّان، البحر المحيط: 7/ 325.

﴿تَخۡرُجۡ﴾ الرَّاجع إلى اليد[1]، وقد أفاد التَّنكير إرادةَ نوعٍ منَ البياض، وهو البياضُ المشرقُ أو المنيرُ، على وجه الإعجاز، ليس فيه ما يَشين، فهو بياضٌ مخصوص.

بلاغة الكناية في قوله: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾ كنايةٌ بديعة؛ حيثُ دلَّت بالبياض على الإنارة والإشراق، ووجه الإعجاز في كون موسى عليه السلام أسمرَ اللَّون[2]، فأدخل يدَه في جيبه ثمّ أخرجها بيضاء - خلاف ما كانت عليه منَ الأَدَمةِ - نيِّرةً مشرقة[3].

كانت كفُّ موسى عليه السلام كأنَّها الشَّمس أو القمر، من غير ما تخييل أو ضرر

بلاغة الاحتباك في قوله: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾ لا بدَّ له من تقدير محذوف؛ إذ لا يترتَّب الخروج على الضَّمِّ، وإنَّما يترتَّب على الإخراج، والتَّقدير: (واضمُم يدك إلى جناحك تنضمَّ وأخرجها تخرجْ)[4]، فحذف منَ الأوَّل والثَّاني، وأبقى مقابليهما ليَدُلَّا على ذلك إيجازًا واختصارًا[5]، وبسط المعنى: (اضمم يدَكَ إلى جنبك تحت العضد تنضمَّ على ما هي عليه من لونها وما بها، وأخرجها تخرجْ بيضاء مشرقة نيِّرة)، فالآية من باب الاحتباك[6].

الحُجّة والبرهانُ سلطانُ الأنبياء والمرسلين بعد تأييد ربِّ العالمين

معنى ﴿مِنۡ﴾ في قوله: ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾:

﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ هي التَّعليليَّة، والجارّ والمجرور متعلِّق بـ﴿تَخۡرُجۡ﴾ أو بـ﴿بَيۡضَآءَ﴾؛ لأنَّه في تأويل (ابيضَّت)[7]. وقد تكون على بابها في الدّلالة على ابتداء الغاية، ويكون المعنى أنَّ

كانت السَّلامة لليد ملازمة، وللآية ملائمة

(1) المنتجب الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 4/ 413.
(2) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 7/ 4629.
(3) القنوجيّ، فتح البيان: 8/ 226.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 325.
(5) السّمين، الدّرّ المصون: 8/ 27، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 494.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 282.
(7) الشّهاب، حاشية على البيضاويّ: 6/ 196.

سلامة اليد منَ السّوء كائنٌ من ابتداء الإخراج، فتكون تلك السَّلامةُ ملازمةً لليد دائمًا؛ تعظيمًا لشأن الآية.

نُكْتةُ الإطناب بالاحتراس في قوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾:

آيات الله كاملة في الجلال، بديعة في الجمال

السّوء هاهنا بمعنى: البرص[1]، وقوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ في موضع النَّعت لـ﴿بَيْضَآءَ﴾، وهو إطناب بالاحتراس؛ لأنَّه لو اقتصر على قوله: ﴿بَيْضَآءَ﴾ لأوهم أنَّ ذلك من بَرَص أو بهق[2]، فلمَّا قال: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أفاد نفيَ أن يكون بياضُها لعِلَّة، بل هي آيةٌ بيِّنة تخرج عن طوق البشر، والغرض من هذا الاحتراس دفعُ توهُّم غيرِ المراد[3].

الغرض من تنكير ﴿سُوٓءٍ﴾:

سلمت يد الكليم من كلِّ سوء وأيِّ شين

قوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾؛ أي: من غير بَرَص ولا مُثْلَة، بل هو أمرٌ ينحسر ويعود لحُكم الحاجة إليه[4]، وجاءت كلمة ﴿سُوٓءٍ﴾ نكرةً للدّلالة على التَّعميم، إذِ المعنى أنَّ اليد خرجت منَ الجيب بيضاءَ من غير أيِّ سوء، فتشمل كلَّ ما يصحُّ أن يندرجَ تحتَ كلمة السّوء، فهي نكرة للعموم والشُّمول.

بلاغة الكناية في قوله: ﴿سُوٓءٍ﴾:

من أدب القرآن البراعة في التَّكنية عمَّا تستقبحه في الأذن أو تمجُّ سماعه

السّوء: الرَّداءة والقبح في كلِّ شيء، فكنَّى به عنِ البرص، كما كنَّى عنِ العورة بالسَّوْأة، والبَرصُ أبغضُ شيء إلى العرب، وبهم عنه نفرةٌ عظيمة، وأسماعُهم لاسمه مجَّاجَة، فكان جديرًا بأن يُكنَّى عنه، ولا نرى أحسنَ ولا ألطفَ ولا أحَزَّ للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه[5].

توجيه المتشابه اللَّفظيّ بين آيتي القصص، وطه:

بين قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ

(1) البغويّ، معالم التّنزيل: 5/ 270.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 325.
(3) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 8/ 28.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 42.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 59.

أوجِـز في مقام الإيـجـاز بـطـيّ مظهر الرُّعب، وبُـسِـط بـذِكـر ضمِّ الجناح من الرَّهب

سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾، وقوله: ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢﴾ [القصص: 32] تشابه لفظيّ، فقد جاء في سورة طه الأمرُ بضمِّ اليد - وهي الكفُّ اليمنى - إلى الجناح - وهو ما بين أسفل العَضد إلى الرُّفغ، وهو الإبط[1] - وذلك لتحقيق غرضين؛ **الأوَّل**: بيان الآية الباهرة في اليد، **والثَّاني**: إذهاب الخوف والفَرَق ممَّا عاينه من هول الثُّعبان المنقلب عنِ العصا بقدرة اللّٰه تعالى، فجاء الغرضان مجموعيْن في أمر واحد، وهو: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ إيجازًا واختصارًا[2].

أمَّا في سورة القصص فقد جاء هذان الغرضان مفرَّقيْن على أمرين؛ **الأول**: ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾ [القصص: 32]؛ لأجل بيان الآية الباهرة في اليد، **والثَّاني**: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ﴾ [القصص: 32]؛ لأجل إذهاب الخوف والفرَق ممَّا عاينه منِ انقلاب العصا ثعبانًا عظيمًا لم يرَ مثله[3]، وهنا يبرز سؤالٌ عن سرِّ إيثار الإيجاز في آية [طه: 22]، واختيار التَّفصيل في آية [القصص: 32]؟

والجواب عن ذلك: أنَّ سياق القصَّة في سورة طه لم يُذكر فيه الخوفُ مفصَّلًا، بل أُشير إليه إشارةً موجزة بقوله تعالى: ﴿خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ﴾، أمَّا سياق القصَّة في سورة القصص فقد ذُكِر فيه الخوفُ مفصَّلًا، وذلك في قول الحقِّ ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ﴾ [القصص: 31]، فمن أجل ذلك عُبِّر في كلِّ سياق بما يناسبه، فقال في [طه: 22] موجزًا: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ وهذا الإيجاز يناسبُ الإيجازَ في ذِكْر

(1) الفرَّاء، معاني القرآن: 2/ 306.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 42.
(3) الزّمخشريّ، الكشَّاف: 3/ 408 - 409.

الخوف، وقال في [القصص: 32] مفصِّلًا: ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ﴾ [القصص: 32]، ففرَّق بينَ السَّلْك الذي هو الإدخال[1]، والضَّمِّ الذي هو الإلصاق[2]، وهذا التَّفصيل يناسب التَّفصيل في ذِكر الخوف.

الموقع النَّحويُّ والدّلاليُّ لقوله: ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾:

في قوله تعالى: ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾، آية: حالٌ ثانية منصوبة بالفتحة، أو بدلٌ منَ الحال الأولى ﴿بَيۡضَآءَ﴾، أو منصوبةٌ بفعل محذوف بتقدير: (خذ آية)، أو: (نؤتيك آية)، لأنَّه لمَّا قال: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾ دلَّ على أنَّه قد آتاه آيةً أخرى، فالكلمةُ مفعول به بفعلٍ مضمرٍ، حُذف لدلالة الكلام عليه، وقد تعلَّق بهذا المُضْمَر المحذوفِ قولُه تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ﴾؛ أي: خُذ هذه الآيةَ أيضًا بعد قلب العصا حيَّةً؛ لنريك بهاتين الآيتين بعضَ آياتِنا الكبرى، أو لنُرِيَكَ بهما الكبرى من آياتنا، أو لنريَكَ مِن آياتنا الكبرى فعلْنا ذلك، و﴿أُخۡرَىٰ﴾: صفة لـ﴿ءَايَةً﴾ منصوبةٌ، وعلامة نصبها الفتحة المقدَّرة على الألف للتَّعذُّر[3].

إنَّما تنفع الصَّادقين الذِّكرى وتكفيهم الإشارات، أمَّا المجرمون فما تغني عنهم الآيات

الغرض من تنكير ﴿ءَايَةً﴾:

جاءت كلمة ﴿ءَايَةً﴾ نكرةً، وقد أفاد التَّنكير معنى التَّعظيم، أي: هي آية عظيمة جليلة، حتّى إنَّ ابن عبَّاس ﷺ قال: "كانت يدُ موسى أكبرَ آياته"[4].

في التَّنكير معنى التَّعظيم

سرّ وصف الآية بقوله: ﴿أُخۡرَىٰ﴾:

قوله تعالى: ﴿أُخۡرَىٰ﴾ صفةٌ لـ﴿ءَايَةً﴾[5]؛ أي: وهذه علامةٌ

آيات الله قاهرة، وسلطانه فوق سلطان الجبابرة

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (سلك).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 208.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 191، وبهجت صالح، الإعراب المفصّل: 7/ 87.
(4) البغويّ، معالم التّنزيل: 5/ 270.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 176.

أخرى غير الآية التي أريناكَها من قبل، من تحويل العصا حيَّة تسعى، تدلُّ على صدقك فيما بعثناك به منَ الرِّسالة لمن بعثناكَ إليهم[1]، فدلَّ وصف الآية بالأخرى على تعداد الآيات الدَّالَّة على صدق موسى عليه السلام[2].

معنى اللَّام ودلالتها في ﴿لِنُرِيَكَ﴾:

اللَّام في قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ﴾ للتَّعليل[3]، وهو متعلِّق بمضمَر ينساق إليه النَّظم الكريم، كأنَّه قيل: فعلنا ما فعلنا منَ الأمر والإظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى، أو نريكَ بذلك من آياتنا ما هي كبرى[4]، وهذا التَّعليل راجع إلى تكرير الآية؛ أي: كرَّرنا الآيات لنريَكَ بعضَ آياتِنا، فتعلمَ قدرتَنا على غيرها[5]، وهاتان الآيتان (العصا، واليد) حقُّهما أن يَظهرا بعد التَّحدّي والمناظرة، ولكن قيل: لنريَكَ أوَّلًا بعضَ آياتنا الكبرى، فيقوى قلبُك على مناظرة الطُّغاة[6].

أرى اللهُ كليمَه بعض آياته إكرامًا له، وتثبيتًا لقلبه على مناظرة فرعون وجُنده

دلالة التَّعبير بالمضارع:

يدلُّ المضارع في قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ﴾ على تجدُّد الإراءة واستمرارها، فالمعنى: (نريك في جميع أيَّام نبوَّتِك)[7]، وفي هذا طمأنة عظيمة بدوام المعيَّة الإلَهيَّة، والعنايةِ الرَّبَّانيَّة.

تدوم المعيَّة الإلَهيَّة والعنايَّة الرَّبَّانيَّة لأصحاب الرِّسالات السَّماويَّة

سِرّ إسناد الفعل ﴿لِنُرِيَكَ﴾ لنون العَظَمة:

في الآيات السَّابقة جاء التَّعبير عنِ الذَّات الإلهيَّة بالإفراد؛ لأنَّ المقام اقتضاه ودعا إليه، إذ كان في سياق تدعيم ركائز

الآيات العظيمة دالّةٌ على تقدير إله عظيم، وتدبير ربٍّ حكيم

(1) المراغيّ، تفسير القرآن: 16/ 105، وطنطاويّ، التفسير الوسيط: 9/ 98.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4717.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4717.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 11.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 208.
(6) تفسير القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 123.
(7) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 283.

التَّوحيد وإفراد الألوهيَّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾، وقولِه سبحانه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾، أمَّا في مقام إراءة موسى عليه السلام الآياتِ الباهراتِ، التي ستُخضِع أعناقَ المكذِّبين لها، وستجعلُ السَّحرةَ يخرّون بعدها سجَّدًا، فيَحْسُن التَّعبيرُ بصيغة التَّعظيم؛ لمناسبة عظَمة الآيات التي وُصفت بأنَّها ﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾.

معنى ﴿مِنۡ﴾ ودلالتها في قوله: ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾:

آيات الله كلُّها عظيمة، وآلاؤه جليلة جسيمة

﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ إمَّا أن تكون للتَّبعيض؛ أي: بعضَ آياتِنا الكبرى، فكلٌّ مِنَ العصا واليد منَ الآيات الكبرى، وهي تسعٌ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ﴾ [الإسراء: 101][1]، وإمَّا أن تكون للبيان؛ أي: لنريَكَ بهما الكبرى من آياتنا[2]، وهو متعلِّق بمحذوفٍ حال منه، وتقديم الحال - مع أنَّ صاحبه معرفة - لرعاية الفواصل[3].

الغرض من مجيء (آيات) جمعًا مضافًا لنون العَظَمة في قوله: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾:

الإضافة للعظيم تقتضي التَّشريفَ والتَّعظيم

الآية هنا تعني: المعجزة، أو الشَّيء الخارق للعادة، أو العلامة، وقد أضاف سبحانه الآيات إليه لعِظَمها وشرفها، ولم يقل: (لنريك من الآيات الكبرى)، وقوله: ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: منَ الآيات التِّسع وغيرِها منَ الآيات الكونيَّة والمعجزات[4]، فالجمع للتَّكثير والتَّدليل على تعدُّد هذه الآيات، والإضافة للتَّشريف والتَّعظيم.

سرّ وصف الآيات بـ ﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾:

كبُرت آيات الله تعالى قدرًا، وجلَّت ذِكرًا

خُصَّت هاتان الآيتان (العصا واليد) لأنَّهما أكبر الآيات،

(1) البروسويّ، روح البيان: 5/ 377.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 161.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 494.
(4) الهلال، الدّريّ الجامع: 7/ 71.

فكأنَّه قال: لنريك الكبرى[1]، ولم يقل: (الكُبَر) لموافقة رؤوس الآي، أو لأنَّ فيه إضمارًا، وتقديره: (لنريك من آياتنا الآيةَ الكبرى)، ودليله قول ابن عباس ﷺ: "كانت يدُ موسى أكبرَ آياته"[2]، أو لأنَّ فيه تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: (لنريَك الكبرى من آياتنا)[3].

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 42.
(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 5/ 270.
(3) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 3/ 156.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»